النظريات السوسيولوجية المعاصرة

د .فكروني زاوي

1 - النظرية السوسيولوجية المعاصرة :

النظريات المعاصرة في علم الاجتماع، هي لا تعني بعدها الزمني وإنما تعني معاصرتها في فهم الحاضر وتفسيره وفق مستجدات الحياة الاجتماعية. و الفكرية في الوقت ذاته. و الحق أن أغلب النظريات السوسيولوجية المعاصرة تجذ منبتها و جذورها في أفكار فلسفية طبعت حقبة زمنية معينة . لذا نجد أن النظرية المعاصرة لعلم الاجتماع تشتق من اربعة اتجاهات فكرية مختلفة هي :

النظرية النقدية
الفكر النسوي

ما بعد البنيوية

ما بعد الحداثة

النظرية السوسيولوجية المعاصرة

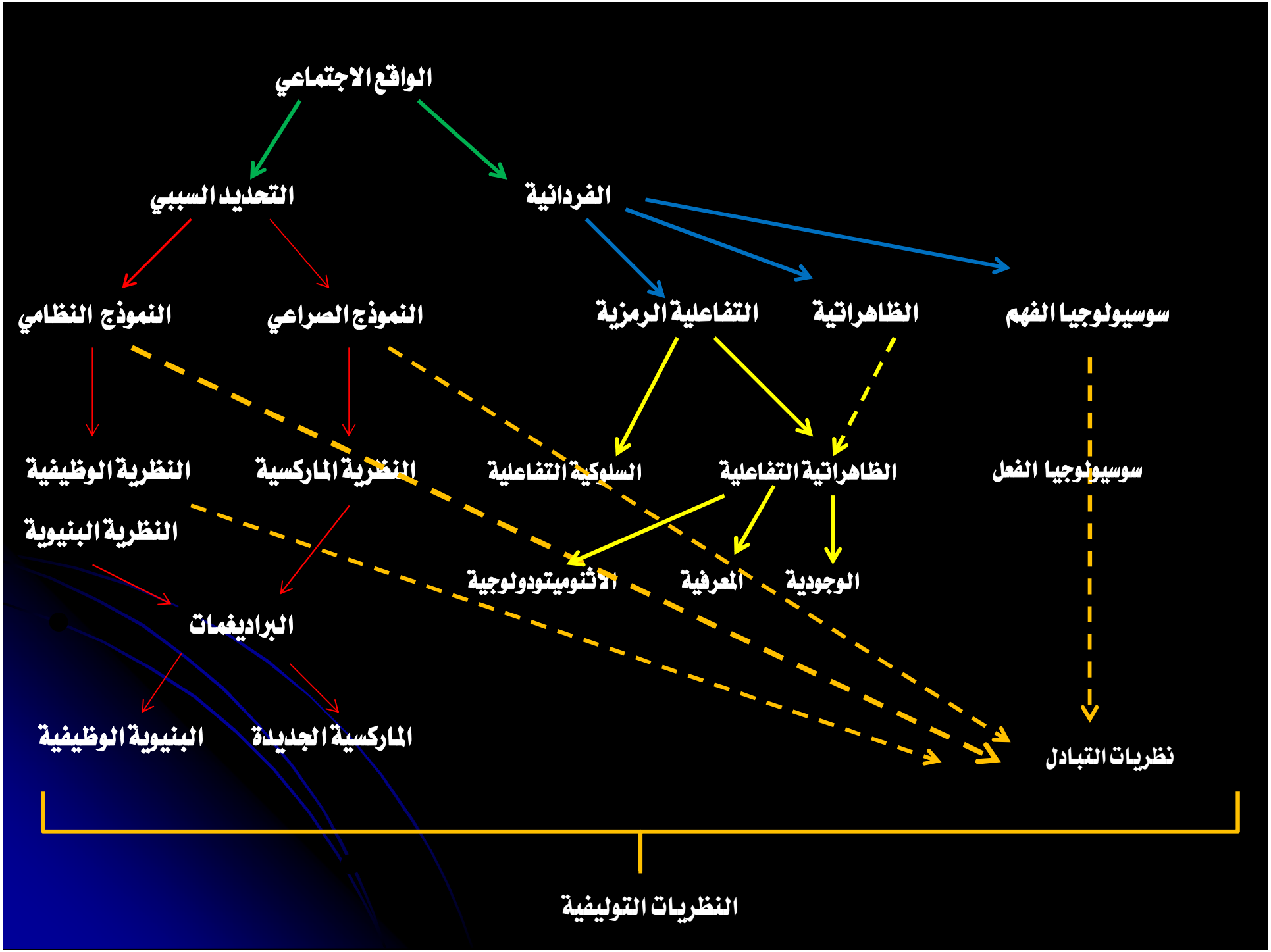
الواقع الاجتماعي
التحديد السببي
الفردانية
النموذج النظامي
النموذج الصراعي
التفاعلية الرمزية
الظاهراتية
سوسيولوجيا الفهم
النظرية الوظيفية
النظرية الماركسية
السلوكية التفاعلية
الظاهراتية التفاعلية
سوسيولوجيا الفعل
النظرية البنيوية
الاثنوميتودولوجية
المعرفية
الوجودية
البراديغمات
البنيوية الوظيفية
الماركسية الجديدة
نظريات التبادل
النظريات التوليفية

المحور الاول :

نظريات المعنى أو نظريات التحليل الجزئي

يركز التحليل السوسيولوجي الجزئي على الأنساق الاجتماعية باعتبارها نتاجا إنسانيا يتشكل (عمليا) بموجب تفاعلات الأفراد مع بعضهم البعض. و بتالي فهذه المنظورات تشتمل على ثلاثة مكونات أساسية:

- التركيز على تفاعلات الوجه لوجه للفاعلين الاجتماعيين، أكثر من التركيز على الوحدات الاجتماعية المجردة كالطبقة مثلا.
- التركيز على المعاني أكثر من الوظائف ، و لذلك يحاول تفسير المعاني التي يضفيها الأفراد على أفعالهم.
- يركز على الخبرة المعاشة أكثر من المفاهيم المجردة .مثل المجتمع ، و المؤسسات.

1 - المنحي النظري العام لمنظورات المعنى :

منظورات المعنى يمثل اتجاها يسعى نحو الابتعاد عن أي نظرة ترى المجتمع كيانا قائما بذاته مستقلا عن أفراده المكونين له، و التركيز بدلا من ذلك ، تركيزا فجا على الأساليب التي يخلق بواسطتها الأفراد عالمهم الاجتماعي. و عليه فهي تنكر كل القوى الخارجية التي يمكن أن تمارس تأثيرا على الأفراد، أو توجيه سياقات المعنى في تفاعلاتهم الاجتماعية. الأمر الذي يضفي على رؤيتها طابع يمكن تسميته بـ (اتساقية المعنى) المستقل عن تصنيف المؤسسات.

معنى العلاقة الاجتماعية

القوة الكامنة في الفعل الاجتماعي

فالمعنى يتكون خلال العمليات الاجتماعية، و يرتبط بها حتى في غياب الإدراك و الوعي، يقول "ميد" Mead بهذا الخصوص :" أن المعنى ... هو تطور لشيء موضوعي موجود كعلاقة بين أطوار معينة في الفعل الاجتماعي، إنه ليس زيادة فيزيقية لهذا الفعل، كما أنه ليس فكرة تم تصورها بالطريقة التقليدية. إن الاستجابة التوافقية لكائن اتجاه الأخر هي معناه (الفعل) ففي مبارزة السيف، تعتبر محاولة التجنب، تأويلا لمحاولة الطعن.." .

أما **القوة** فهي تمثل موضوعا رمزيا يخضع للتفسير و التأويل من قبل أطراف العلاقة الاجتماعية، أي أن القوة تعرف من خلال علاقة قائمة بين طرفين أو عدة أطراف، و لذلك تعرف من خلال مؤشرات و رموز ومعان يحملها أطراف العلاقة.

و بتالي فإن المعاني التي يشكلها المتفاعلون هي نتاج لعلاقات القوة التي تجمعهم .

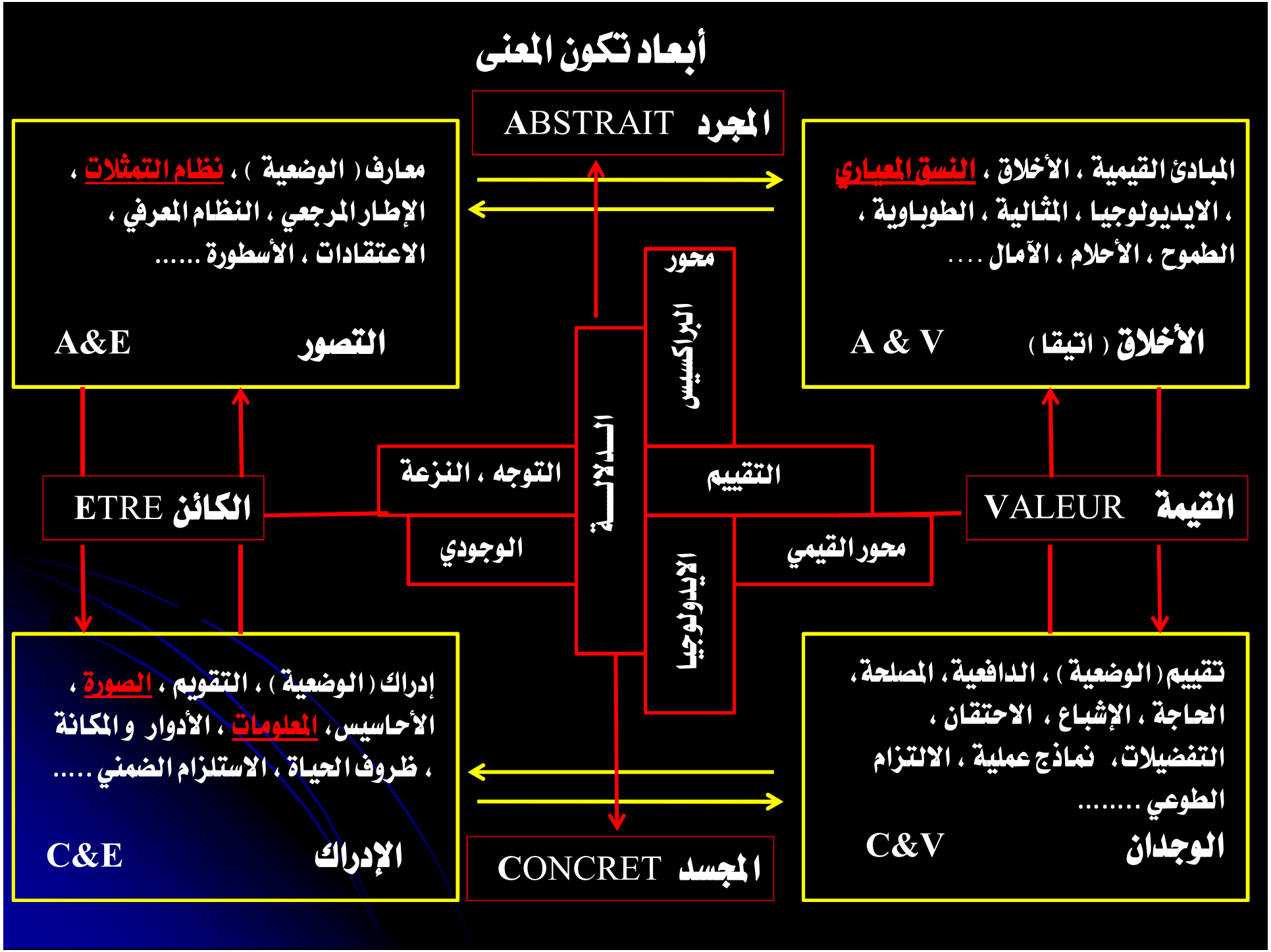
أبعاد تكون المعنى
المجرد ABSTRAIT
معارف (الوضعية) ، نظام التمثلات ، الإطار المرجعي ، النظام المعرفي ، الاعتقادات ، الأسطورة .....
التصور A&E
المبادئ القيمية ، الأخلاق ، النسق المعياري ، الايديولوجيا ، المثالية ، الطوباوية ، الطموح ، الأحلام ، الآمال ....
الأخلاق (اتيقا) A & V
محور البراكسيس
محور الدلالية
التوجه ، النزعة
التقييم
الكائن ETRE
الوجودي
محور القيمي
محور الايديولوجيا
القيمة VALEUR
إدراك (الوضعية) ، التقويم ، الصورة ، الأحاسيس ، المعلومات ، الأدوار و المكانة ، ظروف الحياة ، الاستلزام الضمني .....
الإدراك C&E
المجسد CONCRET
تقييم (الوضعية) ، الدافعية ، المصلحة ، الحاجة ، الإشباع ، الاحتقان ، التفضيلات ، نماذج عملية ، الالتزام الطوعي .....
الوجدان C&V

القـــوة

القوة هي القدرة على الحصول بدون اللجوء إلى الاكراه البدني على نوع معين من السلوك من طرف الذين تحت هيمنة من يمتلكها ، و بإقصاء جانب الإكراه البدني ، تصبح القوة ذات وجود رمزي بالأساس يمس الجانب النفسي في تمظهرات العلاقات التي من الممكن أن تكون بين الأفراد / الأشخاص بوعي أو بدون وعي منهم في العالم الاجتماعي. و هاته التمظهرات هي التي تجعل من القوة ظاهرة اجتماعية خالصة .

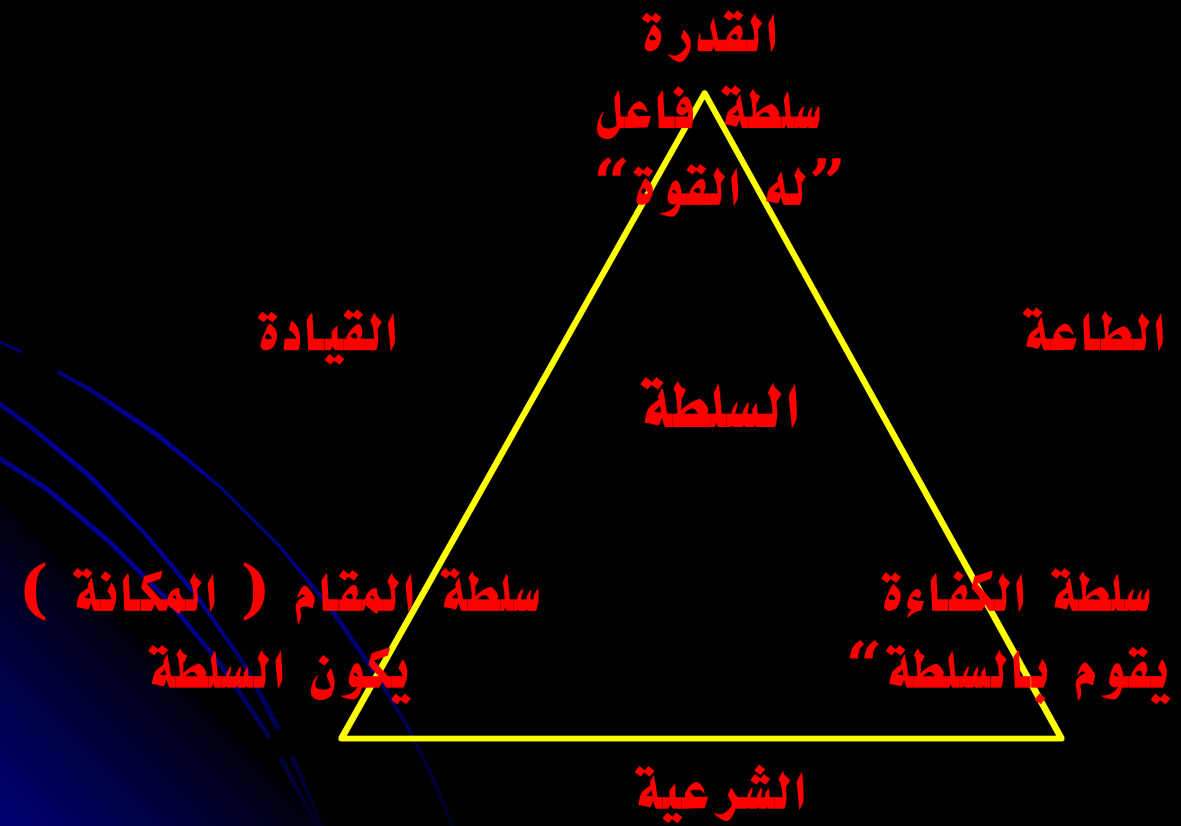

1 – 1 النظرية الفهمية :

ظهرت سوسيولوجيا الفهم مع ماكس فيبر (Max Weber 1864 – 1920)، بعد أن وضع أسسها "فلهلم ديلثاي". ويتسم هذا التوجه بالطابع **الدلالي** و**التفهمي والتأويلي**، والتركيز على الذات بدل الموضوع. أي : دراسة الشخص في علاقته بأعضاء الجماعة التي ينتسب إليها أو علاقاته مع المجتمع في كليته، بالتوقف عند مختلف الدلالات والمعاني والمقاصد والغايات والنوايا التي يعبر عنها هذا الفعل الإنساني، في علاقته بأفعال الآخرين، ضمن الكينونية المجتمعية نفسها.

L'Éthique protestante et l'esprit du capitalisme (1904-1905),

الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية

يقول فيبر: " إن ما ندعوه سوسيولوجيا هو علم مهمته الفهم، عن طريق تأويل النشاط الاجتماعي.

و هو بذلك ينطلق من افتراضات التالية :

- المجتمع يتكون من مجموعات (طبقات) يقومون بسلوكات أو أفعال أو ممارسات أو أنشطة متماثلة مع النظام الاجتماعي الذي يمثلونه .
- التراتبية الاجتماعية هي تجسيد لتراتبية نظام السلطة ذاته.
- الإنسان كائن واع، يتصرف عن وعي وهدف أي أن أفعاله تنم عن معنى و قصد.
- هدف علم الاجتماع هو فهم العالم في ضوء أفعال الفرد، وفهم مقاصدها وأهدافها ونواياها ودلالاتها.

تستند النظرية الفهمية على ركيزتين أساسيتين هما :

المثال : type

هو نموذج ، صالح لوصف الوقائع الواقعية المعطاة، بالتركيز على مكوناتها وسماتها وعناصرها، وإبراز خصائصها المشتركة والمميزة والمترابطة فيما بينها. كما يجسد المثال الواقع المرصود، ويختزله في نموذج فكري واضح ومتسق ومنسجم

نسق المعنى : le système de sens

كل فعل اجتماعي يتضمن نسقا رمزيا، يحمل في طياته دلالات ثانوية، ندركها عن طريق الفهم والتأويل، انطلاقا من تجاربنا وحضورنا الذاتي في هذا العالم .

بعض المفاهيم الأساسية للنظرية الفهمية :

- **النمط المثالي**(L'idéal-type) هو **مفهوم** مجرد، أو **مقولة** وصفية عامة تساعدنا على فهم مجموعة من الظواهر والتنظير لها. ويهدف النمط المثالي إلى تكوين نموذج للظاهرة الاجتماعية قصد تصنيفها. بمعنى أن النمط المثالي هو نتاج لعملية تركيبية لمجموعة من **السمات** والمواصفات لظاهرة مجتمعية ما، تكون مجردة وعامة، وتصنيفها ضمن **نموذج فكري** وعقلي ومنطقي متسق. وبالتالي، فالنموذج المثالي لا علاقة له بالقيمة، بل يرتبط بمنظومة من الخصائص والأوصاف والسمات المشتركة الناتجة عن ملاحظة ظاهرة ما. وبتعبير آخر، يعني النمط المثالي **تجريد** أو تحويل الظاهرة المجتمعية المدركة والملاحظة إلى نموذج ذهني مجرد في شكل خصائص ومكونات وسمات مشتركة مجردة وعامة. أي: الانتقال من المجسد إلى المجرد المجرد. والعكس.

يصنف "فيبر" الانماط المثالية إلى :

- **العقلاني** : يستخدم الوسائل الملائمة لتحقيق الأهداف العقلية المختارة ، أو يستعين بوسائل مشابهه لإشباع مثل قيم مطلقه و الأخلاق.
- **الوجداني** : يعتمد على الحالة العاطفية و الشعورية في أفعاله .
- **التقليدي** : يعتمد على النماذج و القوالب المتواترة و المقبولة اجتماعيا في أفعاله .
- **اللاعقلاني** : لا يعتمد على أي من العناصر السابقة فهو متقلب و لا يمكن التنبؤ بأفعاله .

- **الفعل الاجتماعي** : بالنسبة لـ " فيبر " هو **نزعة** / **توجه** ،لسلوك / تصرف حاصل و مدرك من طرف الشخص واقع في الماضي أو الحاضر أو المستقبل من طرف **أشخاص أخرين** مثلا (الانتقام لحالات هجوم سابقة، الدفاع في حالات هجوم راهن، اتخاذ إجراءات دفاعية تجاه هجمات مستقبلية) ، هؤلاء الآخرين يمكن أن يكونوا افراد معروفين أو مجموعة من الأشخاص غير معروفين ، و الفعل الاجتماعي يجسد و يتجسد من خلال **علاقة اجتماعية معينة** في **موقف معين** . و بتالي فهو **فريد** تبعا لفرادة **المعنى المقصود** و **الهدف** المراد للفاعل. و **الوسائل المستعملة** في تحقيقه.

ويصنف "فيبر" الفعل الاجتماعي حسب النمط المثالي إلى أربعة أنماط هي :

- **الفعل العقلاني الغائي** : وهو الفعل الذي يتم فيه اختيار الوسائل اللازمة لتحقيق هدف معين بطريقة غائية عقلانية تبريرية.
- **الفعل القيمي الأخلاقي** : وهو الفعل المبني على القيم الأخلاقية، وفيه يسعى الفرد لتحقيق هدف معين قد لا يكون عقلانيا في حد ذاته، ولكن يتم الوصول إليه من خلال وسائل مقبولة في إطار سياق أخلاقي أو ديني أو حتى قدسي .
- **الفعل الوجداني** : وهو الفعل الذي يعتمد على الحالة العاطفية للشخص وليس على الموازنة العقلانية للأهداف والوسائل . و هو في الأصل سلوك أكثر منه فعل .
- **الفعل التقليدي**: وهو الفعل الذي تقوده أو تحكمه العادات المتوارثة للتفكير.

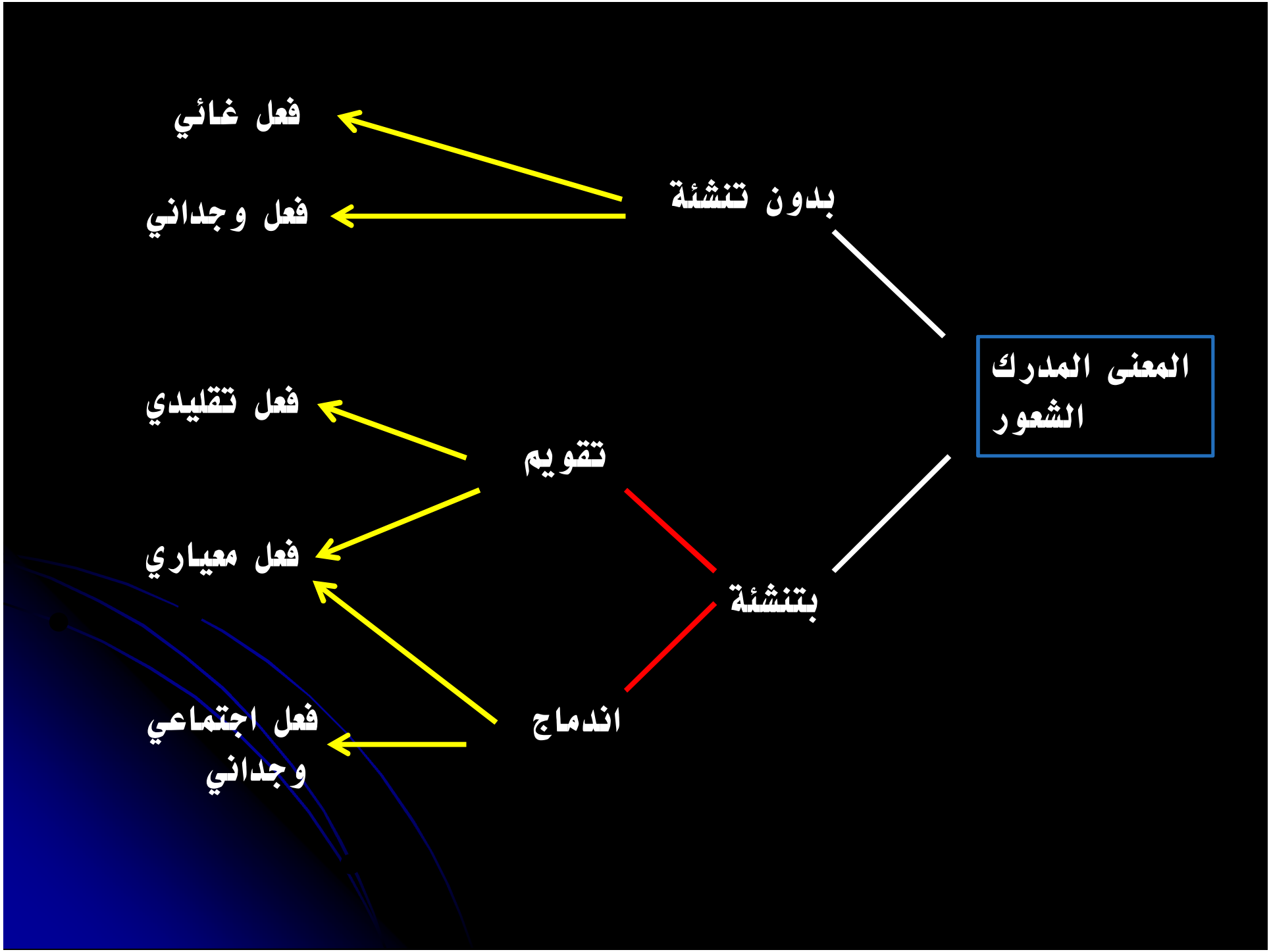
فعل غائي
فعل وجداني
بدون تنشئة
المعنى المدرك
الشعور
فعل تقليدي
تقويم
فعل معياري
بتنشئة
اندماج
فعل اجتماعي
وجداني

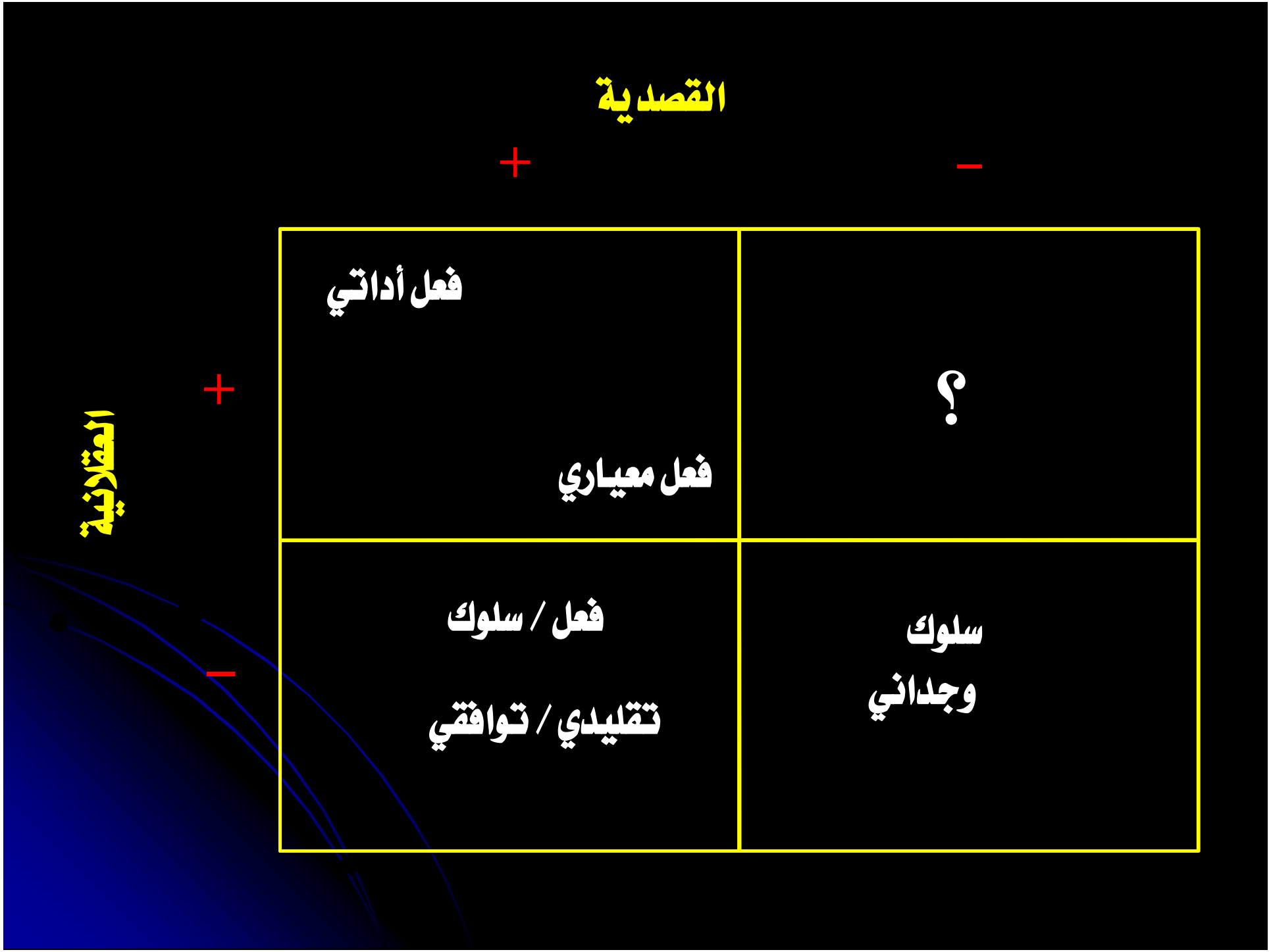
القصدية
+
−
العقلانية
+
−
فعل أداتي
فعل معياري
؟
فعل / سلوك
تقليدي / توافقي
سلوك
وجداني

- **المعنى :** المعنى بالنسبة لـ " فيبر" هو **القصد الكامن** في الفعل الاجتماعي الملاحظ فعليا ، أي هو **الدافع** للفعل و هو إما يكون :

  أ / القصد الفعلي للفاعل في موقف تاريخي حقيقي.

  ب / القصد المدرك من قبل فاعلين في عدد من الحالات.

  ج / قصد غير ذاتي المحدد قبليا بنمط (نموذج مثالي) بحث (ردة فعل حسب النمط المثالي).

- **العلاقة الاجتماعية :** هي **تصرف** مجموعة من الأشخاص في **تتابع متوافق** بصورة **تبادلية** تبعا لمعناه (التصرف) و **متوجه وفقا لهذا المعنى** ، و تتكون العلاقة الاجتماعية تماما و حصريا من ، فرصة أن يتم فعل اجتماعي بصورة يمكن وصفها تبعا للمعنى، بغض النظر تماما عن الأساس الذي تقوم عليه هذه الفرصة **(القوة)** .

- **القوة / السلطة** : تعني القوة بالنسبة لـ" فيبر" كل **إمكانية** داخل علاقة اجتماعية لإ**نفاذ الرغبة الخاصة ضد رغبة الرافضين لها** ، بغض النظر عما ترتكز عليه تلك الإمكانيات (النظام / مصدرها / الشرعية) . فحسب فيبر كل نظام هو نظام للسلطة ، ذلك ان ما يحدد النظام هو كيفية انظمام مجموعة من الناس اليه ، صفاتهم ، و الوسائل التي يستخدمونها للحصول على السلطة و مدى شرعيتها ,

  و هذه السلطة / الشرعية يحددها فيبر في ثلاثة مصادر للقوة هي :

- **نظام الاقتصادي** : قائم على توزيع المنافع ، يتكون من اشخاص مرتبين في طبقات لهم حظوظ متشابهة للحصول على منافع (رؤوس أموال ، استهلاك ,,,,,)
- **نظام اجتماعي** : قائم على تقاسم مكانات الشرف و العزة. يتكون من مجموعة افراد يتشاركون في نفس درجة الحضوة الاجتماعية ,
- **نظام سياسي** : قائم على توزيع السلطة ، يتكون من أحزاب تجمع اشخاص لهم نزعة للسلطة .

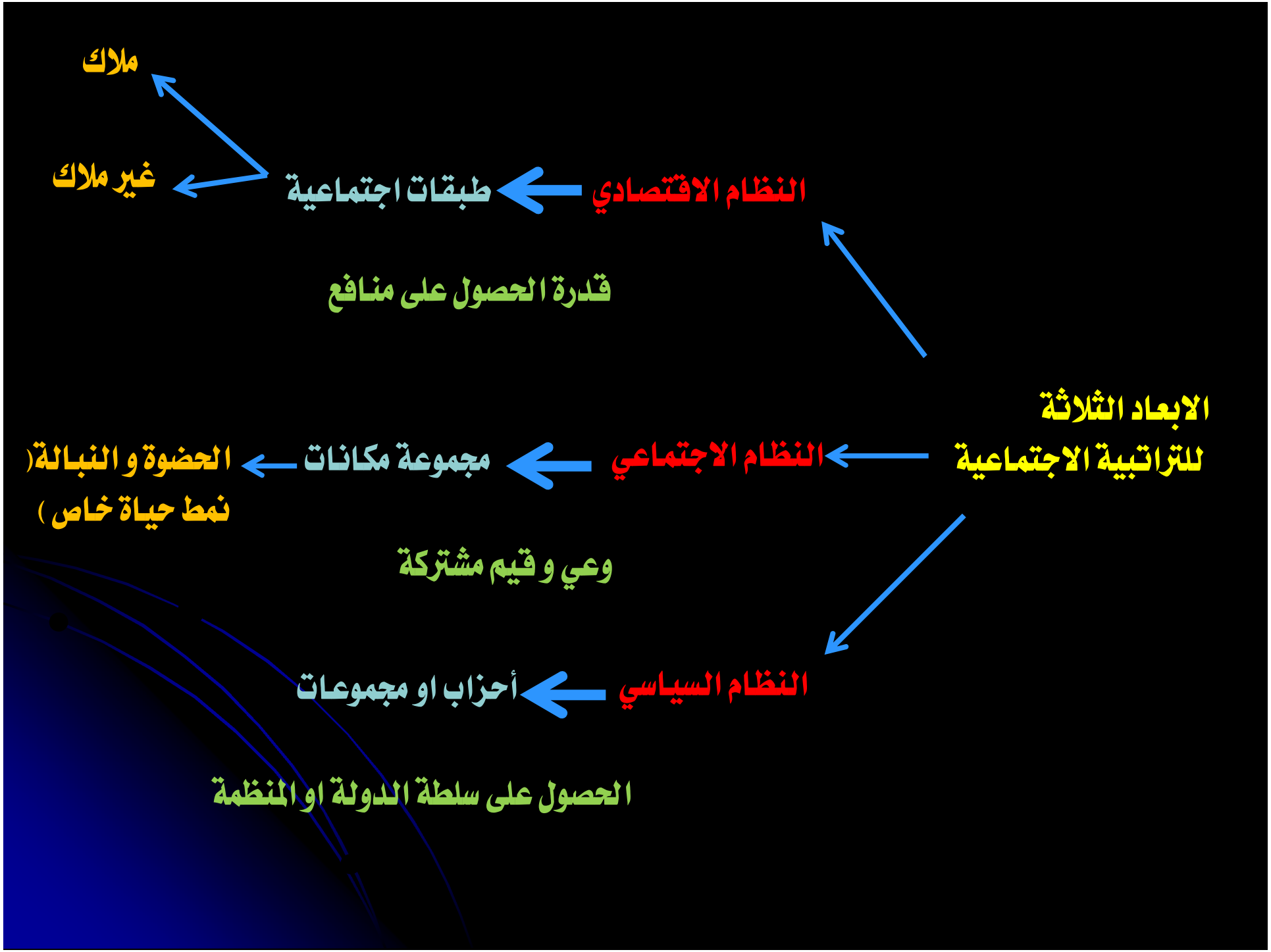
الابعاد الثلاثة
للتراتبية الاجتماعية
النظام الاقتصادي
طبقات اجتماعية
ملاك
غير ملاك
قدرة الحصول على منافع
النظام الاجتماعي
مجموعة مكانات
الحضوة و النبالة(
نمط حياة خاص)
وعي و قيم مشتركة
النظام السياسي
أحزاب او مجموعات
الحصول على سلطة الدولة او المنظمة

1 – 2 التفاعلية الرمزية :

هي من أولى نظريات المعنى ، حيت ظهر مصطلح التفاعلية الرمزية أول مرة في مقال نشره "هربرت بلومر" سنة 1937 تحت عنوان علم النفس الاجتماعي. لكن المؤسس الحقيقي لهذا المنظور السوسيولوجي هو " جورج هربت ميد" و هذا باعتراف "بلومر".

وقد اتخذت التفاعلية الرمزية من المذهب النفعي أساسا فلسفيا لها كما اعتمدت على التفسير الاجتماعي للايكولوجيا وعلى مناهج الدراسة الحقلية التي طورها الانثروبولوجيون ولاسيما الملاحظة بالمشاركة . كما أخدت عن علم النفس العديد من أفكارها و مرتكزاتها الابيستمولوجية.

كما تنطوي بعض مرتكزات التفاعلية الرمزية على أفكار أساسية بالفلسفة البراغماتية ، فالأصل بالبراغماتية أنها فلسفة الفعل والتي هي جزء من فلسفة المعرفة التي مع فلسفة الوجود وفلسفة القيم تشكل محور التفكير و النسق الفهمي التي تقدمه التفاعلية الرمزية لتمظهرات العالم الاجتماعي .

ترى هذه النظرية أن الواقع الاجتماعي هو تشكيل ذوات متصلة و متفاعلة فيما بينها بأنساق رمزية متفق عليها تسمى "اللغة" تجسد البيئة المتواجدين بها بمعنى أن الناس هم الذي يؤسسون المجتمع بأفعالهم وتصرفاتهم الواعية والهادفة ،أي هم الذين يعطون للعالم دلالاته الرمزية بواسطة التجارب الفردية المعاشة.

إنها تهتم بالطبيعة الرمزية للحياة الاجتماعية، بالتركيز على المعاني والدلالات الرمزية التي تحملها أفعال الفاعلين داخل سياق اجتماعي معين.

أما الافتراضات الأساسية لهذا الاتجاه ، فيلخصها " جورج هربرت ميد" في ستة نقاط :

- نحن نعيش في محيط رمزي ومادي في آن واحد، ونحن الذين نضع معاني العالم ومعاني أفعالنا في هذا العالم بواسطة رموز.
- بفضل هذه الرموز ذات المعنى يكون بمقدورنا أن نحل محل الآخر؛ لأننا نشارك الآخرين الرموز نفسها.
- نحن نتقاسم ثقافة مؤلفة من جملة من المعاني والقيم، وهي توجه معظم أفعالنا، وتتيح لنا على نحو واسع أن نتنبأ بتصرف الأفراد الآخرين.
- إن الرموز، المعاني والقيم المرتبطة بها، ليست معزولة وتشكل جزءا من مجموعات معقدة يعرف الفرد إزاءها دوره، أي ذاته (الأنا). في حين، إن أناه (أنا) تمثل الإدراك الحسي الذي يكونه عن ذاته ككل.
- إن العقل هو السيرورة التي من خلالها تدرس في بادئ الأمر الحلول الممكنة والمحتملة من زاوية الفوائد والأضرار التي يجنيها الفرد بالنسبة لقيمه قبل أن يختار هذه الحلول في نهاية الأمر.إنه نوع من الاستعاضة عن التصرف بوساطة تجارب وأخطاء
- إن الفعل هو تفاعل مستمر بين أنا والأنا وسلسلة من المراحل التي تتبلور في نهاية الأمر في تصرف وحيد يختاره العقل .

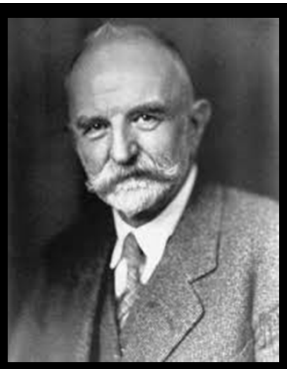

رواد النظرية التفاعلية :

جورج هيربرت ميد George Herbert Mead : (1863 – 1931) اهتم *ميد* بدراسة علاقة الفرد بالجماعة والمجتمع خاصة فيما يتعلق بعملية التفاعل الرمزي ضمن الجماعات الصغيرة وكيف يتم تشكيل الذات والعقل من ناحية وتشكيل ما هو اجتماعي ثقافي من ناحية أخرى , والعلاقة بين هذين الجانبين وارتباط هذه العلاقة بالسلوك الإنساني.

هربرت بلومر Herbert Blumer : (1900 – 1987) يرى أن الإنسان كائن حي لا تحكم التنظيمات الاجتماعية أفعاله وسلوكه فالتنظيمات الاجتماعية هي نتيجة لقدرات الأفراد على البناء والتشكيل الرمزي لعالم المواضيع الذي يستجيبون له وذات الأفراد هي من هذه المواضيع

شارلز كولي Charles Horton Cooley: (1864 – 1929) يرى كولي أنّ المجتمع عبارة عن نتاج عملية تفاعل بين الذات التي هي تصورات الإنسان لشخصه وبين العقول التي هي النشاطات الذهنية للآخرين (أنا أتصور ما بذهنك وأنت تتصور ما بذهني) وكيف يفكر كلّ منا ماذا يدور بذهن الآخر , فالمجتمع في نظر كولي عضوية مترابطة مستدمج بالفرد , فالذات والمجتمع تصورات وتخيلات عقلية.

أرفينج جوفمان Erving Goffman: (1922 – 1982) الحياة تشبه المسرح فالإنسان يؤدي أدوار في الحياة كما أدوار الممثل بالمسرح أما الجماعة فهي الفرقة المسرحية يتعاون أعضاؤها لإنجاح المهمة.

بعض المفاهيم الأساسية للنظرية التفاعلية الرمزية :

- **العقل** : هو **السيرورة لنشاط وظيفي غير مادي قابل للتطور و النمو** و الذي من خلاله **تدرس الذات** في بادىء الأمر **الحلول الممكنة والمحتملة** من زاوية **الفوائد والأضرار التي يجنيها الفرد بالنسبة لقيمه** قبل أن يختار هذه الحلول في نهاية الأمر.إنه نوع من الاستعاضة عن التصرف بوساطة تجارب وأخطاء.

- **الرمز** :يشير الرمز إلى **المعنى المشترك** بين أعضاء **الجماعة**، وينشأ هذا المعنى ويتطور في سياق **عملية التفاعل** ذاتها فهو جوهرها وهو ليس من ابتكار الأشخاص وإنما يكون مرتبطا بالخبرة الجمعية لأولئك الذين يستخدمونه (الاخر المعمم) ، وبفضل الرمز تصبح لدى البشر قدرة على التأمل في ردود أفعالهم والاستعداد لها في خيالهم و بناء ذواتهم . و الرمز هو مجموعة من الاشارات المصطنعة ، تشمل عند ميد اللغة ، و عند بلومر المعاني ، وعند غوفمان الانطباعات و الصور الذهنية .

- **التفاعل الاجتماعي** :التفاعل هو الدخول في علاقة اجتماعية، ضمن نسق مجتمعي معين، ويظهر ذلك التفاعل في مجموعة من ردود أفعال تصدر عن فاعل ما ، اتجاه فعل يصدر عن الفاعل الآخر في تماثل مع بنية ا لمجتمع.

- **الذات** : تنظر التفاعلية إلى الذات **كعملية** تتضمن قدرة الإنسان على **الاستجابة لنفسه** كقدرته للاستجابة **لذوات الآخرين** , من خلال قدرته على الاستجابة لمعنى رموزهم في تقرير مسارات الفعل. والذات ليست وحدة ثابتة إنما عملية دينامية تشمل الجانب الذاتي والموضوعي و تنمو نتيجة التفاعل مع الذوات الأخرى.

والذات عند "ميد" جزءان : جزء عفوي مندفع أطلق عليه الأنا "moi". والجزء الآخر اجتماعي ضميري " je " ناشئ عن القيم والمعايير والتوقعات الاجتماعية أطلق عليه الذات الاجتماعية. و التي بمقتضاها تتشكل مجموعة التمثلات و المواقف و الاتجاهات نحو "الذات" "le soi".

- **المجتمع**: يشكل المجتمع الوجه الثالث والأعم لحقيقة الواقع الاجتماعي بعد الذات والعقل ، فهو **عملية دينامية** متغيرة تبعا لأفعال الإنسان والنشاطات المنظمة للآخر المعمم وفق أنماط معينة للتفاعل المنظم ، **للمكانات و الادوار** ، **المعايير** و **السلطة** .

1 – 3 الظاهراتية :

الظاهراتية هي نظرية سوسيولوجية معاصرة، تحاول **التأسيس لنماذج مغايرة وبديلة** من التفكير حول الفعل الإنساني والاجتماعي ، تركز بشكل معمق على **تحليل ووصف الحياة اليومية** بما يشاهد ويلمس منها أي تعنى **بالظواهر المرئية والمحسوسة والملموسة المقترنة بأحداث الحياة البشرية الملتصقة بالمشاعر والأحاسيس**.أي على الصفات الاجتماعية الفريدة التي تقع أثناء عملية الاتصال الاجتماعي.

وتسعى الظاهراتية كمدخل في نظرية علم الاجتماع لكشف النقاب عن كيفية استخدام **الوعي الإنساني** في صياغة الفعل الاجتماعي وصياغة أو بناء المواقف الاجتماعية بل وبناء مختلف العوالم الاجتماعية .

لقد تعددت المصادر المعرفية للظاهرتية فشملت **الفلسفة الظاهراتية**" الفينومينولوجية"، كما تصورها هوسرل ،أي محاولة تجاوز النظرة الطبيعية و الوضعية، التي تعتبر وقائع الحياة اليومية معطاة للإدراك الحسي المباشر،وتهدف إلى جعلها موضوعا لتفكير عقلي متسام يحقق معرفة موضوعية عن بناها الجوهرية. و هو نفس المنحى الذي أتخذه من قبل " ديكارت" عندما صاغ نظرية الشك المنظم أو مفهوم الذات المفكرة (Ego Cogito) . لكن في نفس الوقت تستمد الظاهرتية مقولاتها الأساسية من أعمال " **ماكس فيبر**" خاصة فيما يتعلق بالفعل و العلاقة الاجتماعية ، و كذلك من أفكار **مانهايم** حول علم اجتماع المعرفة .

لم تدخل الظاهراتية في نطاق علم الاجتماع كأحد مداخله النظرية إلا بعد أن علق" ألفريد شوتز" على بعض مشكلات نظرية "**ماكس فيبر** " للفعل الاجتماعي .وقد قام" شوتز" بصياغة مدخل اجتماعي من كتابات "هوسرل" موضحا كيفية قيام المعاني الذاتية في الوعي الإنساني بإخراج وبناء عالم اجتماعي موضوعي

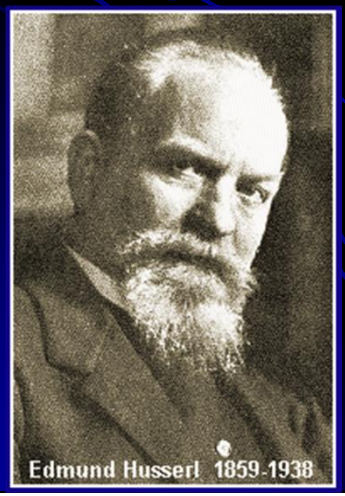

ترى الظاهراتية أن **الوعي كعملية** عمدية مقصودة مركبا من التفكير والإدراك والشعور والتذكر والتخيل والتوقع **هو أساس الحقيقة الاجتماعية** وهو بذلك المصدر الأساسي للفهم العام .ومن ثم ترى الظاهراتية التفاعل الاجتماعي على أنه عملية تبادلية من التكوينات الفهمية للمتفاعلين الذين يستخدمون مخزونهم المعرفي المتوافر لحظة التفاعل .وتتكون المواقف الاجتماعية من هذه الأنماط الاعتيادية للتفاعل الاجتماعي.

الحقائق الاجتماعية تتكون من خلال الفرد وداخلياته وذاتياته

العالم الذي نعيش فيه مصنوع من وعينا أو في رؤوسنا ، وان العالم الخارجي لا معنى له إلا من خلال وعينا به

أما الافتراضات الأساسية للظاهراتية فهي :

- كل تجربة كما تبدو في مجرى التفكير تشير بالضرورة إلى الموضوع المدرك، موضوع التجربة، أو الوعي.
- هناك تمايز بين التفكير كفعل وبين موضوع التفكير.
- عامل العقل الموضوعي يمكن اختزاله إلى أفعال الأفراد
- هناك الوجود المتسامي (Transcendental) و الوجود المتجاوز (Transcendent)
- مهمة عالم الاجتماع أن يفهم كيف يصنع البشر من عالمهم عالم ذي معنى

بعض المفاهيم الأساسية للنظرية الظاهراتية :

- **المجتمع** : هو حقيقة عقلية، تتشكل نتيجة التفاعل بين الذوات، ينتج عنها وعيا و إدراكا جماعيا مشتركا، و الأفراد بعد ذلك يثمثلون متطلبات الدور، بما يرتبط به من توقعات .
- **المجال** : هو معطى لا يمكن للعلم الوضعي الكشف عنه ، و إنما يكشف بالمعرفة العامية ، فالمجال هو الذي يشكل العالم الاجتماعي. ، و الظاهرتين يقسمون المجال إلى عدة أصناف فهناك، مجال الواقع الاجتماعي المعاش، مجال المعاشرين، مجال المعاصرين، مجال السلف، مجال الخلف، أما معيار التمييز بين جميع هذه المجالات فهو التقطيع الزمني للتجربة الذاتية والخبرة الفردية.
- **الحياة اليومية** : هو حيز عالم التجربة الخالصة، هو عالم المعاش، هو العالم كما نحس به و نشعر به
- **الحس العام المشترك** : يربطه الظاهرتيون بالمعرفة العامية، فهو لا يشير إلى رأي العقل الموضوعي العلمي أو الفلسفي ،بل يشير إلى رأي منمط يتخذ كأرضية أو قاعدة للحكم على أي وجود سواء فعل أو ظاهرة حدثت ، يتشكل هذا الراي المنمط وفق تجاربنا أو خبراتنا لمقايسة ما يتشابه من أفعال و ظواهر. إن هذا الحس العام الذي يتشكل ذاتياً يساعد على بلورة رؤية قابلة للتبادل مع الآخرين تمكنهم من وضع احتمالات مستقبلية تتم بوساطتها صياغة نماذج سلوكية وفكرية عن الآخرين الذين يتفاعلون معهم .

- **الخبرة** : هي نتاج **عمليات ذاتية متتالية و تراكمية في بناء المعرفة ومعاني الأشياء والمواضيع أساسها التجربة الحسيّة** و هي عملية دينامية مستمرة ، أطلق عليها شوتز (المخزون المعرفي) أي الحدس والحس العام . والخبرة وظيفتها **تنميط أوجه الحياة** .
- **الوعي** : يصنفه الظاهراتيين إلى **وعي عقلي أو الوعي الإدراكي و وعي ذاتي** . بحيث يكون الوعي الذاتي هو **الوسيط في رسم حقيقة الواقع الاجتماعي في ذهن الإنسان أي في تشكيل الوعي العقلي** , ولهذا فإن ما يحمله الإنسان من معارف و اعتقادات تمثل وعيه العقلي / الإدراكي هي في الحقيقة ما هي إلا نتيجة ما تم تنميطه من الوعي الذاتي المتشكل في إطار الخبرات الجماعية.(الحس العام) .
- **الذات** : يقصد بها شوتز ، **قبول** الفرد **لمعتقدات** ،و **معان** و **توقعات** تشكل وجهة نظر للعالم أو ما يسمى **بالحس العام**.وبهذا فإن الذات هي **حصيلة ما تم الاتفاق عليه جماعيا عن طريق عملية النمذجة الناتجة عن التخلل الذاتي أو الذوات المتداخلة (التنميط)**.
- **الفعل** : كل فعل اجتماعي يرتبط **بمقاصد** لدى الفاعل مما يجعل المقصد جزء من استكمال **اكتشاف المعنى** لأنّ معنى الفعل يرتبط بمقاصد الفاعل وحوافزه , إنّ **الحوافز** إما أن تكون **سببيه** أو **قصديه** مرتبطة بالغاية من الفعل ولهذا يتضمن الفعل جانبين الأول الاختيار والتخطيط والثاني تحقيق الهدف وبهذا من ناحية المعيار الزمني ترتبط **الحوافز السببية بخبرات الماضي** في حين ترتبط **الحوافز القصدية** / الغائية بتحقيق **حالة مستقبلية** .

- **التخلل الذاتي** : هو **العملية** التي يتم فيها معرفة الفرد المتفاعل معه بصورة مقربة بحيث يمكننا أن نعرف كيف يفكر،فهو التداخل الحاصل بين الفاعلين والناجم عن عملية محادثة ونقاش وحصول تفاهم بين الطرفين ثم يتم فهم كل منهما الآخر.

- **النمذجة** : يقصد بها شوتز ، **استعمال نواتج التخلل الذاتي في اختزال المتفاعلين لبعضهم البعض اثناء التفاعل الاجتماعي فب مجرد نماذج تعتبر ماهية الذات** .

- **التفاعل الاجتماعي** : هو كل **تواصل** من شانه تشكيل **ذوات الفاعلة** في **موقف** معين ، و يشترط «شوتز » حصوله بوجود أربعة مكونات هي : حضور الاخر ، التبادل التواصلي ، تفاهم ، انسجام / تنافر

الذات الفاعلة 01

الذات الفاعلة 02

تنشئة اجتماعية

مخزون معرفي

تخلل ذاتي

المجال

النمذجة

1 – 3 الإثنوميتودولوجية

هي نظرية قام بصياغتها "هارولد غارفينكل" كنقد لنظرة الوضعية و العلموية المسيطرة على علم الاجتماع، فقد تبين له من خلال دراسته لهيئة المحلفين أن الحقيقة الاجتماعية أنه من خلال عمليات التفاعل تتشكل قوالب وأنماط معرفية جماعية تشكل في مجموعها (القانون الضمني) الذي يحكم تصرفات واختيارات وقرارات أعضاء الجماعة كما يتضمن هذا القانون اعتبار الجماعة لما تشكل في عالم الحياة حقائق مسلم بها، أي أن الحقيقة الاجتماعية هي نتاج الحياة اليومية العملية و ليست فكرية .

فهم الواقع الروتيني اليومي من خلال دراسة الطرائق والمناهج التي ينهجها الأفراد في الواقع الفعلي لخلق أنماط سلوكية عقلانية تمكنهم من التفاعل والتعايش في معترك الحياة.

تحليل أنشطة الحياة اليومية تحليلا يكشف عن المعنى الكامن خلف هذه الأنشطة

مرجعيتها الفكرية :

ترجع الجذور الفكرية للنظرية الاثنوميثودولوجية إلى كل من :

- التفاعلية الرمزية .
- الفلسفة الظاهراتية (الفينومينولوجية).
- المدرسة النقدية .

افتراضاتها الأساسية :

- الواقع الاجتماعي هو واقع الحياة الروتينية و العادية ، أي أن حقيقة الواقع الاجتماعي تكمن في اليومي. الذي هو نتاج الفاعل أو الذات الفردية التي تعبر عنه بواسطة الكلمات والعواطف والإشارات، ضمن تجارب ذاتية وإنسانية غير خاضعة للتشييء الموضوعي.
- الفاعل هو كائن ايجابي و له دور كبير في تحريك المجتمع وتغييره.
- الفعل الاجتماعي هو فعل تواصلي عاقل وهادف، يخضع لمنهجية واضحة بالتحكم في الأفعال وردود الأفعال وفهمها جيدا، والوعي برهاناته فكل موقف تفاعلي له منطق هو منطق السياق الواقع فيه. فأفعال الأشخاص واختياراتهم وعلاقاتهم فيما بينهم ترتبط بما يحملون من معانٍ وتصورات وإنّ عمليات التفاعل البين ذاتي تجعل من هذه المعاني والتصورات قاعدة معرفية وحساً عاماً مشتركاً وفي حالة تشكل هذه القاعدة تصبح إطارا مرجعيا للأعضاء في تصرفاتهم وقراراتهم وعلاقاتهم. قد يؤدي انتهاك هذه القواعد أو الخروج عنها إلى عواقب جدية.

- يتجسد الفعل الاجتماعي أي معناه من خلال الموقف الاجتماعي الذي يحدث فيه الاتصال و الذي يزودنا ببناء لغوي خاص لا يشترط نظام اللغة ذاته ، فطريقة الحديث و الفضاءات التي يتحدثون فيها الأشخاص هي المحددة لمعنى الفعل. فالطفل يكتسب اللغة في إطار الجماعة وبنفس الوقت يكتسب حساً وإدراكاً للبنى الاجتماعية إذ يتعلم اللغة المناسبة للموقف أي أنه لا يكتسب اللغة كبناء مجرد وإنما يكتسبها في سياقها الاجتماعي.

- ليس هناك بناء مجتمعي ثابت أو نسق يتخذ صورة دائمة بشكل مستقر، بل البناء الاجتماعي يخضع للأفراد، ويتغير بتغيرهم، وبتغير الزمان والمكان. (الموقف)

- المناهج الكيفية هي الأصلح لدراسة الظواهر الاجتماعية فالحقيقة الاجتماعية تكمن في الكلام والمحادثة العادية بين الناس.

روادها :

- **هارولد جارفينكل** Harold Garfinkel (1917 – 2011) **هو عالم اجتماع امريكي و مؤسس النظرية الاثنوميتودولوجية ، تحصل على درجة دكتوراه بإشراف" تالكوت بارسونز"، يرى أن المجتمع هو عبارة عن بناء أخلاقي من القيم المعيارية، يمثل أساس التنظيم الاجتماعي، و به تعرف الحقيقة الاجتماعية لأولئك الممارسين أي أعضاء المجتمع من واقع معاملاتهم اليومية.**

- **أرون سيكوريل"** Aron .Cicourel (1928) **هو تلميذ " الفرد شوتز" و "جارفينكل" اهتم بتحليل الاحاديث العادية ، يرى أن عملية التفاعل تتضمن منظورا متبادلا بين المتفاعلين، فالمتحدث يفترض أن المتلقي يتوقع أن يقول ما هو مفهوم و معقول و مقبول ضمن إطار السياق و ليس** اللغة.

- **هارفي ساكس** Harvey Sacks (1935 – 1975) **أهتم بتحليل المحادثة، حيث صاغ ما يعرف بمدخل تحليل المحادثة، بين فيه أن العبارات المستخدمة من طرف الاشخاص هي نوع من الوصف و التفسير للتصورات التي يحملها المتحدثون كإجراء تكيفي أو تمثيلي للموقف العادي .**

بعض المفاهيم الأساسية للنظرية الإثنوميتودولوجية :

- **المعجمية أو الفهرسية** : هي تعبيرات ذات معنى تستعمل أثناء التفاعل المتبادل بين أعضاء المجتمع الذي يتضمن معان تدركها عقولهم مباشرة و هي معان تفوق دلالاتها و مغزاها ما قد تدل عليه إشارة أو كلمة أو عبارة في حديث تبادل بينهم و من ثم فإن الإشارات أو الكلمات أو العبارات التي ترسل أو تستقبل أثناء عملية التفاعل بين أعضاء المجتمع يكون لها عدة معان ترتبط بموقف معين أو بيئة أو ظروف معينة.

- **الانعكاسية/ الفعل المنعكس** : يشير مفهوم "الفعل المنعكس""إلى أن كثيرا من أنماط التفاعل التي تحدث بين أعضاء المجتمع تهدف إلى المحافظة على رؤية معينة للحقيقة الاجتماعية التي قاموا بتشكيلها في مواقف محددة ،أي لهم قدرة على أن يأخذوا أنشطتهم بعين الاعتبار ، فالكلمات و الإشارات و الإيماءات التي نستخدمها أثناء عملية التفاعل تهدف إلى المحافظة على رؤية معينة للحقيقة الاجتماعية و تستخدم في تشكيل و تفسير و إعطاء المعاني للعالم الاجتماعي.

- **العضوية** : لا يقصد بها الانتماء و إنما مدى إتقان العضو للغة الطبيعية أي المشتركة أو ما يسميها "جارفينكل" و ساكس بالمعجمية ، أي أن العضوية هي الانتماء إلى جماعة لسانية تتقن لغة طبيعية .

- **الدلائل** " indexation إن أفعال الأفراد وتصرفاتهم هي نتاج للمواقف الاجتماعية التي يصنعونها أو هي بمثابة مؤشرات على تلك الظروف التي تنشأ فيها أحداث الحياة اليومية. فالأشخاص يقومون بمزاولة نشاطاتهم العادية ويؤدنها بطريقة مألوفة التكرار و كأنها تتم وفق قانون ضمني غير مكتوب إنها الدلائل التي تستند إلى الفهم الشائع والمشترك فيما بينهم .

- **الحياة اليومية** : إنّ نشاط الفرد اليومي يتحول إلى عادة وكأنها تحدث ميكانيكا , أما نشاطات وأحداث المجموع فتؤسس أنماط جماعية وكأنها مبرمجة بحاسوب , وتشكل هذه الروتينيات المخزون المعرفي الذي تستمد منه الجماعة إطار أفعالهم وسلوكاتهم فإنّ عملية التنميط تمنح الجماعة أولاً تمهيد لسلوك تلقائي وثانياً تمنحهم ظرفاً للإبداع والتروي وثالثاً تهيئ لهم نماذج سلوكية ومنظمة ومؤسسة .فالحياة اليومية هي نتاج للنشاط الإنساني يجمع بين الموضوعية والذاتية وعلى أساس جدلي متكوّن من لحظات ثلاثة خارجية وموضوعية واستبطانية بآن واحد.

- **افتراضات ثقافية**: هي افترضات لغوية غير معلنة عن المحتوى والدوافع لما يجري تبادله من حديث، فكلامنا ومحادثاتنا تفترض مسبقاً وجود تفاهمات مشتركة ومعقدة وأنواع من المعارف المتبادلة.هي أساس لنظام معياري (اخلاقي) فالكلمات المستخدمة في المحادثة لا تنقل معاني ومفاهيم محددة على الدوام بل أنها تثبت وتؤكد ما نقوله وفق ما لدينا من افتراضات غير معلنة عما يمكن أن يقوله الآخرون.

- **التعابير**: هي مجموع الإجراءات التي يستخدمها المتفاعلون في تصرفاتهم في المواقف الاجتماعية ، و يرى "كارفينكل و ساكس" أنّ هناك نوعين من التعابير هما تعابير دالة وتعابير موضوعية نمطية فالأولى تشير إلى موضوعات وأشياء وأشخاص في الحالة الفردية ويحدد معناها ضمن السياق الذي جاءت فيه , أما الثانية التعبيرات الموضوعية النمطية فإنها تدل على فئات ومجموعات نمطية ولهذا يمكن استخدامها في تصنيف الواقع والتوصل إلى تعميمات .